ديناميتها بعد الحرب العالمية الثانية حيث دخلت المجتمعات الغربية في مرحلة انتقال اقتصادي وصناعي وإجتماعي. ظهرت في البداية حاجة لتوسيع دائرة تدخل الدولة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية. لكنه وبعد فترة من ذلك ظهر نوع من التزاحم بين الدائرتين الفردية والعامة، وهنا نشطت الحركات الاجتماعية لتقليص تدخل الدولة في دائرة الفردية والشخصية. لأن اتساع تدخل الدولة ومسؤوليتها أدى إلى تسييس الدائرة الفردية و هذا ما دفع الى تحركت اليسار و اليمين الجديدين (ديفيد هلد: ١٣٦٩, ٤٠٩).

ثانياً بعد الحرب العالمية اتسع نطاق العلم و المعرفة التي تركزت في الغالب على إنتاج رأس المال و توثيق اواحد العلاقة بين الرأسماليين وهو ما اوجد الحاجة الى العمالة الماهرة. وقد ادي ذلك الى علاقة مباشرة بين التعليم والعمل، فإستندت الحركات الاجتماعية الجديدة على هذه الطبقة المتعلمة واخذت باستقطاب اعضائها من ضمنها. وقد اوجدت فرص الدراسة وظروف العمل الجديده أرضية مناسبة من أجل إيجاد قيم إجتماعية جديدة تؤدي دوراً واضحاً في خلق حركات سياسية و علاقاتها بالتغييرات البنيوية التي طالت مجالي الإقتصاد والإجتماع.

ثالثاً، نجد ان الحركات القديمة تسعى في الغالب الى حلّ مسألة المشاركة في السياسة. أي أنّ الحركات القديمة تتحول الى حركات مشاركة، وتسعى في الغالب إلى المساواة الاقتصادية وتوزيع السلطة بشكل متساوي. وهذه الحركات بالطبع تشكل جزءاً من تنمية المجتمعات الصناعية الغربية من حيث انها تحولت الى جزء من السلطة المنظمة وأجهزة صناعة القرار وفي النهاية تمكنت من جذب الاحزاب السياسية نحوها.

أمّا الحركات الاجتماعية الجديده فأنها تسعى الى هوية سياسية جديدة اكثر من متابعتها للمسائل الاقتصادية، وبالتالى ترفض من الحداثة الجزء الذي يؤكد على التمركز في السلطة و البحث عن تقسيمها و توزيعها، وهي لا تنسجم مع ايديولوجيا الحداثة القديمة.

اما العوامل التي ادت الى ديناميه وظهور الحركات الاجتماعية الجديدة فيمكن تلخيصها ودراستها ضمن ثلاثة عوامل مهمة، هي :

١- تدخل الدولة في مختلف المجالات الإجتماعية،

٢- تنمية صناعة المعرفة،

٣- اتساع وسائل الاتصال العامة.

تدخل الدولة

تحدثنا في الصفحات السالفة عن سبل تدخل الدولة في مجالى الاقتصاد والاجتماع، والذي اثر على تنمية و ظهور الحركات الاجتماعية في الفقرات الاخيرة وقلنا إن تدخل الدولة و اتساع نطاق نشاطها في برمجة التجارة، العمل، التعليم، الاسرة، الحياة والتعليم الإبتدائي، سواء بشكل انفعالى عن طريق اخذ الضرائب ومن خلال سائر اشكال التوزيع المحدد للدخل الوطني، او بشكل فعال عن طريق اعادة بناء الخدمات التقليدية، مما سيؤدي إلى ايجاد آثار كبيرة على تسييس مختلف مجالات الحياة الاجتماعية.

وقد اثرت هذه القضايا على الحركات الاجتماعية الجديدة. كما تركت تأثيراتها على إحزاب اليسار واليمين الجديدين. ووفرت العديد من المواضيع و المباحث من أجل طرح و ظهور الحركات الاجتماعية الجديدة. و بالرغم من ان الحداثة تركت آثارها على اقسام خاصة ، منها على سبيل المثال ظهور الدولة- القومية (Nation-State) و الهوية السياسية الجديدة التي تعتبر نقطة الارتكاز في الحداثة، لكنها كانت بالنسبة لأتباع مذهب ما بعد الحداثة عامة الاهمية من حيث مفاهيم مثل الانسانيه، الطبيعة ، النساء، السلام و ... و من جانب آخر نرى هؤلاء يفكرون بعقلية محلية. و الدولة بأعتبارها فاعلاً سياسياً ناشطاً و عاملاً في مجال السياسة لها دور كبير في ظهور الحركات الاجتماعية الجديدة، فعلى سبيل المثال ، أدى تدخل الدولة اليوم في قضايا البيئة الى ظهور حركات اجتماعية جديدة في الغرب.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مجلّة العلوم الإنسانيّة

المدير المسؤول
الدكتور صادق آئينه وند

مساعد المدير المسؤول
الدكتور مسعود غفاري

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله ناصري طاهري

لجنة التحرير
الدكتور صادق آئينه وند
الدكتور عادل آذر
الدكتور محمّد سعيد تسليمي
الدكتور فيروز حريرچي
الدكتور جعفر شهيدي
الدكتور مجيد صبّاغ كرماني
الدكتور مسعود غفاري
الدكتور ابوالقاسم گرجي
الدكتور منوچهر محسني
الدكتور محمود مهرمحمّدي
الدكتور علي ميرعمادي

الهيئة الاستشارية
الدكتور ناصرالدين الاسد (اردن)
الدكتور عبدالوهاب بوحديبه (تونس)
الدكتور ابراهيم بيضون (لبنان)
الدكتور حسن حنفي (مصر)
الدكتور بول. ف. راجرز (انگلترا)
الدكتور سهيل زكار (سورية)
الدكتور رضوان السيّد (لبنان)
الدكتور فابيو. بتيتو (فرنسا)
الدكتور فرد. دالماير (امريكا)
الدكتور محسن صالح (لبنان)
الدكتور ريچارد. ن.فراي (امريكا)

رئيس لجنة التّنقيح
الاستاذ قيس آل قيس

المدير الداخلي
آتوسا محمودي

المستشار التنفيذي
ليلا نجفي‌زمان

تصدر عن مركز نشر جامعة اعداد المدرسين (تربيت مدرس)

ترسل جميع الأبحاث والمراسلات الى العنوان التالي: تهران، خيابان جلال آل احمد، دانشگاه تربيت مدرس، دانشكده علوم انساني
الهاتف: (٤٦٢٠) ٨٨٠٠٧٨٨٠ (٠٢١)
فاكس: ٨٨٠٢٨٢٣٦ (٠٢١)
صندوق پستي: ١٣٩-١٤١١٥
E-mail: humanities @Modares.ac.ir
www.IJHIR.com

مجلة العلوم الانسانية، ١٤٢٧/٢٠٠٦ هـ.ق، العدد ١٣ (٤) ٧٣-٨٧

الحداثة والحركات الإجتماعية

مسعود غفاري[١]، سيد حسين اطهري[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٢٦/١٢/١٤ تاريخ القبول: ١٤٢٧/٤/٣٠

نقوم في هذا المقال ببحث مفهوم الحداثة وعلاقتها بالحركات الإجتماعية، وذلك في ضوء المؤلفات الكلاسيكية (التقليدية) فيما يتعلق بالحداثة والافكار الجديدة في علم السياسة وعلم الاجتماع المعاصر. وبالطبع لانقصد من وراء ذلك تقديم دراسة كمّية عن كيفية تطور وتحول مفهوم الحداثة، بل سنبحث بإسهاب في العلاقة الّتي تربط الحداثة بالتغييرات الاجتماعية والسياسية، لأن التغيير على مستوى الظواهر الأساسية للحقائق الاجتماعية هو الذي يشكل المادة الرئيسية في النظريات العلمية الاجتماعية.

في نفس الوقت الذي تدلنا هذه القضية على الطرق المختلفة في التغيير الاجتماعي من قبل العلماء، والسبب في بحث مسألتي الحداثة والحركة الاجتماعية هو انهما تشكلان القوتين الاساسيتين في عملية التغيير. والهدف الأساسي الذي نسعى اليه من خلال هذا البحث هو فهم تأثير الحداثة على العملية التنموية والمعرفة العلمية الاجتماعية والافكار التي تقوم عليها الحركات الاجتماعية. بعبارة اخرى، هدفنا من البحث تقديم تفسير خاص للعلاقة التي تربط الواقع التاريخي بمفهوم الفهم.

الكلمات الرئيسية: الحداثة، الحركة الإجتماعية، الدولة، وسائل الإعلام العامة، صناعة المعرفة، التغيرات الإجتماعية، الهوية.

١. حائز على دكتوراه في الإقتصاد السياسي من جامعة برادفور –بريطانيا و عضو الهيئة التعليمية في قسم العلوم السياسية في جامعة تربيت مدرس (طهران)

٢. حائز على دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة تربيت مدرس (طهران) و عضو الهيئة التعليمية في قسم العلوم الإجتماعية في جامعة فردوسي مشهد– ايران.

المقدمة

مما لا شك فيه أن مفهوم الحداثة هو من أهم المواضيع الثقافية، السياسية، الإقتصادية والإجتماعية في أيامنا هذه. هذا المفهوم ونظراً للدور الذي يلعبه فى تغيير التاريخ البشرى فإنه محور أبحاث العلماء ودراساتهم.

إن العلاقة بين الحداثة والتجدد من جهة وتأثيرها على التحولات السياسية والإجتماعية من جهة اخرى تشكل محور الدراسات والأبحاث التى يقوم بها العلماء في مختلف ميادين العلوم الإنسانية في أيامنا هذه. فى العقد الأخير، مع توسع الحركات الإجتماعية في كافة انحاء العالم و التى أدت إلى إيجاد تغييرات مهمة، فإن العلاقة بين هذه المتغيرات تستحوذ على أهمية كبيرة وأساسية.

يشكل مفهوم التغيير اليوم محوراً أساسياً في دراسة وتفسير السياسة والإجتماع، إذ يشكل فهم آلية وعملية ومصدر وعوامل التغيير احد أهم وظائف الدراسات الإجتماعية. إن تطور فرع علم الإجتماع التاريخي، الذي يهدف إلى دراسة التغييرات التاريخية ودرس وفهم أسبابها يدل على أهمية هذا الموضوع. نماذج مختلفة للتغيير الثقافي والتركيبي تم عرضها من قبل العلماء خلال السنوات الماضية، ومن اهم هؤلاء : هربرت سبنسر(Spencer)، اميل دوركهايم (Durkheim)، كارل ماركس(Marx)، ماكس فيبر(Weber)ر، سماسر ، آيرمن(Eyerman)، لاك وود، پارسونز، غيدنز، دارند ورف، آيزنشتات، هانتنغتون وغيرهم. إذ تناول كل منهم هذه التغييرات من وجهة نظر معينه وقام بتحليلها. وهذا ما يدل على أن هناك عدة طرق من أجل تفسير التغييرات الإجتماعية. وسبب الإلتفات إلى الحداثة والحركات الإجتماعية كونها من ابرز القوى المؤثرة في عملية التغيير.

الحداثة

كما هو سائد في المؤلفات السيّ تتحدث عن النظريات الكلاسيكية للعلوم السياسية وعلم الاجتماع، فأن مفهوم الحداثة يعود بجذوره الى السعي لفهم معنى و اهمية التغييرات الاجتماعية (Social Change) في اوروبا، وبشكل خاص في التأثيرات التي تركتها الثورة الصناعية والتحضر والديمقراطية السياسية على المجتمعات السلطوية والقروية بالذات. والحداثة تقوم على التنمية والتطور والتقابل بين الحديث (Modern) و التقليدي (Traditional) وهي تعبر عن التغيير. والحداثة وجهة محددة لتجارب الحياة التي يشترك بها كل البشر في مختلف ارجاء الدنيا، والتي تشمل الزمان والمكان، الأنا والآخر، تجربة امكانيات ومخاطر الحياة (برمن:١٣٦٩، ١٤). اما منبع الحياة الحدثية فهو الاكتشافات الكبرى التي حصلت في مجالات العلوم الطبيعية والتي غيرت نظرتنا الى العالم ومكانتنا فيه، فالتصنيع في مجال الانتاج والذي حول المعرفة العالمية الى تقنية (تكنولوجيا)، واوجد بيئة جديدة. بعد ذلك فقد أدى ظهور الشركات العملاقة والصراع الطبقي، النمو السكاني المطرد، زيادة ونمو المدن، ظهور واتساع نظام الاتصالات العامة ووسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة، التي سهلت عملية الاتصالات والعلاقات البشرية، تزايد الدول الديمقراطية، ظهور حركات اجتماعية جماهيرية تشكلت من اعراق وقوام وشعوب مختلفة، تحدت السلطات الاقتصادية و الاجتماعية . هذا بالإضافة إلى ظهور سوق الرأسمالية العالمية الذي يعيش حالة تغيير دائمة وهو يعتبر من أهم نتائج الحداثة. وتحول الإنسان فى عصر الحداثة إلى هدف وموضوع يحاول باستمرار تغيير العالم، هذا العالم الذي يعمل بدوره على تغيير الإنسان. في هذا المجتمع الجديد اصبح العالم يفهم على أنه مجموعة تجارب الإنسان وقلقه على المستقبل.

وقد جرى تقسيم عصر الحداثة الى ثلاثة مراحل : الاولى، من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، والثانية من الثورات التي شهدها القرن الثامن‌عشرحتى نهاية القرن التاسع‌عشر والثالثة هي التي بدأت مع بداية القرن العشرين حتى اليوم.

فالحداثة في مؤلفات ماركس، فيبر ودوركهايم ما هي الّا تجربة جديدة للعالم.(Eyerman:١٩٩١، ٤٠)تجربة تركت

اكبر آثارها على الموضوع الانساني و التي جاءت بتغييرات عميقة وجذرية في مختلف المجالات : الثقافية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. لكن ما هي التأثيرات التي تركتها الحداثة على الانسان؟ وكيف استطاعت الحداثة خلق تغييرات اجتماعية؟

لعل من اهم التأثيرات التي تركتها الحداثة على الانسان، هي طرح تعبير وفهم جديد عن «الانا» (Self) يرتكز على الفردية والأصالة. فالانسان وفي الوقت الذي يعتبر مشروعاً مستقلاً يمكن ان يكون مادة للبحث، اي ان تغييرالانسان هو الهدف الاساس للحداثة، بما يرفعه الى مستوى مشروع مستقل وأنا قائمة بذاتها. وهذه الفكرة الجديدة هي التي جعلت الحداثوي يختلف عن التقليدي، وميزت العالم القديم عن العالم الجديد، على مستوى الفرد والمجتمع. وهذا التمايز أثر في ادراك العلاقة بين الانسان وماوراء الطبيعة (اوالميتا فيزقيا) و كذلك التغييرات في علاقات الملكية والتحولات الديمغرافية (الهجرة من القرية الى المدينة) والتقدم الصناعي.

فقد حول اتقدم الصناعي العامل الفردي الى عامل صناعي يسكن المدن و هو ما ترك بدوره تأثيرات سلبية كالبعد عن الذات، وايجابية كالحصول على الحرية في الوقت نفسه، مفهوم البعد عن الذات يشكل من وجهة نظر كارل ماركس تفكك الاواحد الطبيعية المتقابلة بين الناس وفي علاقة الناس بما ينتجونه (ريترز: ١٣٧٧، ٣٠). لكن الاهم في مسألة التقدم الصناعي ونمو المدن هو مشكلة الهوية الاجتماعية والتي ادت الى ايجاد تكتلات وتجمعات وفيما بعد ادت إلى ما سماه دوركهايم بـ«آنومي». ولقد ادى غياب القيم والإرتباطات الخاصة بالمجتمع القديم مع عدم خلق قيم واخلاق جديدة تقوم محلها وتوجد نوعاً جديداً من الترابط، ادى الى حالة في الفراغ القيمي، اطلق عليه اسم المرحلة الانتقالية أو الآنومية.

ولقد كان هذا التفكك نتيجة لتطورات جديدة وتغييرات تنبعث من صميم الحداثة التي اصبحت تشكك في جميع الاشياء وتثير حولها الإستفسارات. ولعل افضل ما يمكن وصف الحداثة به، هو أنها مرحلة وفترة صفتها الرئيسية التغيير والتحول الدائم.

جاءت الحداثة وجلبت معها تغييرات اجتماعية كانت لها تبعات منها: ايجاد خطوط ارتباط جديدة وهويات سياسية حديثة اوجبت زيادة في حجم المنظمات الاهلية التطوعية في مقابل المنظمات والمؤسسات التقليدية للمجتمع. في السابق كان الإنسان يعرُف من خلال العرق أو القبيلة والدين واللغة، أمّا اليوم فقد تبدل الأمر واصبح يعرُف من خلال الدولة التي تضم عدة مؤسسات ضمن المجتمع المدني. من خصائص هذه المنظمات المستحدثة هي كونها ارادية واختيارية على خلاف المنظمات والمؤسسات التقليدية القديمة التي كانت العضوية فيها غير ارادية بل تولد مع ولادة الانسان، فالعضوية في هذه التنظيمات الجديدة اختيارية وتتم عن وعي ومعرفة. ولقد ادى ظهور هذا النوع من المؤسسات الى ظهور اهداف ومصالح سياسية واتجاهات سياسية واجتماعية جديدة. إن التحرر من قيود التقاليد القديمة وحصول الفرد على الحرية التي من خلالها يحدد اهدافه واتجاهاته، تمكن الانسان من إعادة بناء عالمه، وكما يؤكد ماركس، يسعى الى بناء تاريخه، لكن وحسب رأي ماركس في ظروف غير اختيارية، لأن الحداثة جاءت بالصناعه والحضر والتغييرات الاجتماعية التي فرضت على الانسان، وبعبارة أخرى كانت مسألة حتمية و مفروضة.

لقد ادى هذا الوضع الى فتح آفاق جديدة امام الانسان. آفاق تلتها تحركات اجتماعية أكبر من حجم أعضائها، كان بامكانها التحول الى قوة انتقالية ايجابية .على سبيل المثال، فهذه القوة الايجابية الانتقالية كان بامكانها التحول من داخل حركة سياسية واجتماعية حسب رأي ماركس والانتقال الى شكل جديد. وحسب رأى دوركهايم الإنتقال الى شكل من الاتحاد والانسجام الإجتماعي.

وفيما ركز ماركس على شكل جديد للهوية السياسية جاءت به الحداثة من اجل التأسيس لارادة جماعية. كان في الطرف الآخر اشخاص مثل ماكس فيبر وامثاله واتباعه مثل

«زيمل» و «ميشيلز» يركزون على تأثير الحداثة على الاشخاص والانماط الجديدة من التنظيم الاجتماعي. ويرى فيبر أن المجتمع الجديد هو حصيلة الارتباط والتعامل الانساني اكثر من كونه حصيله الانماط التقليدية من القنوات والمؤسسات الارتباطية.

وعلى اساس ما تقدم، وفرت الحداثة امكانيات جديدة لبيان وتعريف الموضوع الانساني وفي اشكال مختلفة من التعامل الاجتماعي وهذه ليست حصيلة للتقليد بالكامل. ولابد هنا من الاشارة الى ان فيبر و ميشيلز يهتمان بنوع السلوك الذي يبديه الانسان الحديث في المؤسسات الاجتماعية المنبثقة عن التقليد. فالتفسير الذي يطرحه فيبر عن البيروقراطية ومفهوم العقلانية، او الدراسات التي يقدمها ميشيلز حول الاحزاب السياسية،هي نماذج للاشكال الحديثة التي تفرض نفسها على الحريات الشخصية في التعبير و العمل. و مع ذلك كلّه، فالمهم هو ان الحداثة و في خلال القضاء على السلطة التقليدية. لابدلها من تقديم البديل الذي يمكنه توفير حرية العمل والتعبير والعقيدة الفردية، وعلى هذا يمكن ايجاد نمط جديد من العلاقة بين الفرد والجماعة.

تجدر الاشارة الى ان المفهوم الجديد للحرية الذي جاء مع الحداثه، وقسم الى سلبي و إيجابي، يتطلب وعي وادراك لبعض القضايا، مثل: الزمان، آليات التغيير الاجتماعي المستقبلي، وايضاً وعي الذات ليس بمعناها الفردي، بل بالمعنى الذي يبني فيه الفرد والمجتمع معاً. او الفرد الذي ينتمي الى المستقبل، وقدر ترافق ذلك كلّه بالوعي الايديولوجي والعلاقات الحزبية والطبقات الاجتماعية.

ولقد ادى البحث في مسأله الزمان والمستقبل الى لفت انتباه المفكرين نحو مجالات الفن و الادب والرسم، فاستخرجوا منها اشكال ونماذج جديدة.

ويرى فيبر ان اهم ما في الحداثة هو البيروقراطية التي تحاول تنظيم وصنع الحداثة وقولبتها، في حين أنّ المهم من وجهة نظر ماركس و دوركيهايم هو تقسيم العمل. ومع هذا، فانه وفي قلب الحداثة يبدو أن البحث في مسألة تنظيم قوى الحداثة يتخذ طابعاً سياسياً.

اذن، المسألة الاساسية في الحداثة هي الازمة التي تقوم اثر تعريف العلاقة بين الحرية الفردية والمسؤولية الجتماعية. او بعبارة اخرى بين الحرية والاغتراب أو البعد عن الذات. او بعبارة أخرى ان الحداثة تسعى لطرح هوية سياسيه جديدة للإنسان الحديث الذي تجاوز هويته التقليدية؛ وبعد هدوء واستقرار الحياة التقليدية، ظهرت الآن حالة جديدة من العلاقات الاجتماعية والروابط الفردية. وعلى الحداثة تقديم حلول جديدة للنشاطات السياسية و طرح تعريف سياسي للمجتمع الحديث (برمن: ١٥٦،١٣٧٩-١٠٩).

يعتبر ماركس من الاشخاص الذين لا بد من الرجوع اليهم لفهم الحداثة. انه يمدح البرجوازية و الانجازات التي حققتها، ودورها في ايجاد عالم جديد ولكونها حركة اجتماعية تمتلك مؤسساتها الخاصة. ومن بعده الماركسيين من امثال (روزا) لوكسمبورغ و لينين اشاروا الى افكار منافسيهم فيما يتعلق بالتنظيمات التابعة (Harnessing) وتطويع قدرات الحداثه وطاقاتها وتنمية الوعي السياسي فيما يتعلق بانتخاب الحركات الجماهيرية ودور الاحزاب والسياسين المحترفين في رفع مستوى الوعي الجماعي. هذان الماركسيان يشتركان اكثر من غيرهم من الماركسيين في تفسير انواع المنظمات والنوع الضروري من القيادة للوصول الى الاهداف المشتركة، لان اقامة المجتمع الجديد يرتبط بإقامة التوازن بين الافراد و الجماعة (بشيريه:١٣٧٤).

لكن الاثنين يختلفان بشكل استراتيجي فيما يتعلق بنوع النشاط السياسي في المجتمع من اجل الوصول الى الاهداف.

وبينما يؤكد لينين على دور المنظمات الحرفية الصغيرة وقيادة المثقفين الواعين. نجد ان لوكسمبورغ يعتبر التحرك الجماهيري بذاته نوعاً من الاستقطاب الاجتماعي السياسي الذي يكتسب الافراد خلاله مفهوماً جديداً عن الأنا والوعي الجديد باعتباره من خصوصيات المجتمع السياسي الحديث.

اما فيبر فيرى ان المسألة الاهم هي : كيف يمكن لقوى الحداثة الديناميكية أن تنظم نفسها من الناحية السياسية. ويعتبر فيبر ان السياسة الحديثة تعود الى البحث في الطبقات كما هو الحال عند الماركسيين. لكنه يرى ضرورة توسيع مفهوم الطبقة ليشمل مفهوم الاعتبار و الحيثية (ريترز: ١٣٧٧ ، ٣٤). وفي الإصطلاح السياسي حسب رأي فيبر فأن الحداثة تتبعها ازمة طبقية وهو ما يظهر في ازمة العلاقات الطبقية داخل الاحزاب. ويلتفت فيبر الى أهمية الحركات الاجتماعية و دور القيادة و التنظيم فيها في المجتمعات السياسية الجديدة (فيبر: ١٣٧٤، ٤٨٧). وهنا نجده كما هو هيغل وعلى عكس ماركس، انه ينظر الى الحركات الجماهيرية بخوف ورعب ولايتوقع منها عمل شيء إيجابي. فهو ودوركهايم يعتبران ان الحركات الجماهيرية ظواهر مؤقتة تخل بالهوية السياسية والفردية، وانها تطرح هوية جديدة. لكن الهاجس الاكبر عند فيبر فيما يتعلق بالحركات الجماهيرية يعود الى مسألة بقاء واستمرار الديمقراطية، لأن الحركات الجماهيرية تؤدي الى الغاء المجتمع المدني والهوية السياسية والاجتماعية للفرد، وبالنتيجة تنميط المجتمع وجعله في قالب واحد تكون فيه النماذج الكاريزماتيكية مثله الأعلى.اعتقد فيبر أن الاحزاب السياسية والمنظمات التطوعية تلعب دوراً بارزاً في الحركات الجماهيرية وتشكيلها، لأنها تؤدي الى اعتدال الافراد والجماعات.

اما اسباب الخوف الذي يبديه فيبر من الحركات الجماهيرية، فهو ان الافراد الذين ينضمون الى هذه الحركات سيفقدون اهم انجازات الحداثة وما جاءت به وهو حرية التصرف والهوية واستقلالهم الفكري. لأنهم سيتحولون الى مجرد وسائل وادوات بيد القيادات الكريزماتية والتيارات غير العقلانية، وينجرون الى علاقة بين القائد وأتباعه (بشيريه: ١٣٧٤,٥٩) ومع ان فيبر يرى في الحركات الاجتماعية ضرورة من أجل نقل المجتمع من الحالة التقليدية إلى الحداثة، لكنه يرى أن هذه المرحلة مؤقتة و يؤكد على ضرورة الإنتقال السريع من هذه المرحلة وتجاوزها الى ما بعدها، حيث يتم ايجاد نظام بيروقراطي وقانوني. وما بعد هذه الحركات الاجتماعية نجد اعادة صيانة لنمط العلاقة بين الفرد والجماعة ضمن مؤسسات وتنظيمات حديثة.

والمؤسسات والتنظيمات الجديدة عبارة عن تنظيمات تقع عليها مسؤولية اقامة توازن بين حريات الافراد ومفهوم المسؤولية الجماعية. وهناك تنظيمات تطوعية كالاحزاب السياسية التي يمكنها ومن خلال ايجاد هوية سياسية جديدة للأشخاص والعمل على خلق هذا التوازن بين الحرية الفردية والمسؤولية الجماعية.

ويعرف فيبر الاستقطاب الاجتماعي والتحزّب السياسي على انه: مبتني على جذب الافراد بشكل اختياري من اجل الحصول على قوة القيادة في الاحزاب السياسية وتوفير الارضية المعنوية والمادية لتحقيق اهداف محددة او الحصول على امتيازات شخصية الاعضاء(جولين فروند: ١٣٦٨ , ٢٣٧).

اما الدولة القومية (Nation-State) الجديدة التي اوجدتها هذه الاحزاب السياسية،فقد شكلت اطاراً موضوعاً لهذه الهوية السياسية الجديدة.والدولة بذاتها تعد مفهوماً جديداً لتكوين الهوية الجديدة واعادة بناء الحياة السياسية. وقد أقامت الدولة توازناً جديداً بين الحرية الفردية والمسؤولية الجماعية، وكانت الموضوع الغائي للهوية السياسية الجماعية والفردية.

ان تحديد الفرد باعتباره احد عناصر الشعب وامتلاكه لهوية وطنية، يعتبرنموذجا اعلى للهوية السياسية بالنسبة لفيبر لانه الحد الاقل والمهم من الاندماج في المجتمع السياسي. اماكيفية حصول الفرد على هوية سياسية جديدة ضمن هويته الوطنية. فهو الركيزة الاساسية في نظرية فيبر السياسية والاجتماعية.

ويتبع ميشيلز النهج ذاته فيما يتعلق بالحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني، القضية الاساسية بالنسبة له هي الهوية السياسية الجديدة، وتكوين المصالح السياسية في المجتمعات الحديثة. فالسياسة الحديثة تبين ضرورة ايجاد تنظيمات، في حين ان التنظيمات الجديدة ليست ديمقراطية. هذا ما يطلق عليه تسمية قانون الاليغارشية الحديدي. بناءً على ذلك فإن الحركة

«زيمل» و «ميشيلز» يركزون على تأثير الحداثة على الاشخاص والانماط الجديدة من التنظيم الاجتماعي. ويرى فيبر أن المجتمع الجديد هو حصيلة الارتباط والتعامل الانساني اكثر من كونه حصيله الانماط التقليدية من القنوات والمؤسسات الارتباطية.

وعلى اساس ما تقدم، وفرت الحداثة امكانيات جديدة لبيان وتعريف الموضوع الانساني وفي اشكال مختلفة من التعامل الاجتماعي وهذه ليست حصيلة للتقليد بالكامل. ولابد هنا من الاشارة الى ان فيبر و ميشيلز يهتمان بنوع السلوك الذي يبديه الانسان الحديث في المؤسسات الاجتماعية المنبثقة عن التقليد. فالتفسير الذي يطرحه فيبر عن البيروقراطية ومفهوم العقلانية، او الدراسات التي يقدمها ميشيلز حول الاحزاب السياسية،هي نماذج للاشكال الحديثة التي تفرض نفسها على الحريات الشخصية في التعبير و العمل. و مع ذلك كلّه، فالمهم هو ان الحداثة و في خلال القضاء على السلطة التقليدية. لابدلها من تقديم البديل الذي يمكنه توفير حرية العمل والتعبير والعقيدة الفردية، وعلى هذا يمكن ايجاد نمط جديد من العلاقة بين الفرد والجماعة.

تجدر الاشارة الى ان المفهوم الجديد للحرية الذي جاء مع الحداثه، وقسم الى سلبي و إيجابي، يتطلب وعي وادراك لبعض القضايا، مثل: الزمان، آليات التغيير الاجتماعي المستقبلي، وايضاً وعي الذات ليس بمعناها الفردي، بل بالمعنى الذي يبني فيه الفرد والمجتمع معاً. او الفرد الذي ينتمي الى المستقبل، وقدر ترافق ذلك كلّه بالوعي الايديولوجي والعلاقات الحزبية والطبقات الاجتماعية.

ولقد ادى البحث في مسأله الزمان والمستقبل الى لفت انتباه المفكرين نحو مجالات الفن و الادب والرسم، فاستخرجوا منها اشكال ونماذج جديدة.

ويرى فيبر ان اهم ما في الحداثة هو البيروقراطية التي تحاول تنظيم وصنع الحداثة وقولبتها، في حين أنَ المهم من وجهة نظر ماركس و دوركيهايم هو تقسيم العمل. ومع هذا، فانه وفي قلب الحداثة يبدو أن البحث في مسألة تنظيم قوى الحداثة يتخذ طابعاً سياسياً.

اذن، المسألة الاساسية في الحداثة هي الازمة التي تقوم اثر تعريف العلاقة بين الحرية الفردية والمسؤولية الجتماعية. او بعبارة اخرى بين الحرية والاغتراب أو البعد عن الذات. او بعبارة أخرى ان الحداثة تسعى لطرح هوية سياسيه جديدة للإنسان الحديث الذي تجاوز هويته التقليدية؛ وبعد هدوء واستقرار الحياة التقليدية، ظهرت الآن حالة جديدة من العلاقات الاجتماعية والروابط الفردية. وعلى الحداثة تقديم حلول جديدة للنشاطات السياسية و طرح تعريف سياسي للمجتمع الحديث (برمن: ١٥٦، ١٣٧٩-١٠٩).

يعتبر ماركس من الاشخاص الذين لا بد من الرجوع اليهم لفهم الحداثة. انه يمدح البرجوازية و الانجازات التي حققتها، ودورها في ايجاد عالم جديد ولكونها حركة اجتماعية تمتلك مؤسساتها الخاصة. ومن بعده الماركسيين من امثال (روزا) لوكسمبورغ و لينين اشاروا الى افكار منافسيهم فيما يتعلق بالتنظيمات التابعة (Harnessing) وتطويع قدرات الحداثه وطاقاتها وتنمية الوعي السياسي فيما يتعلق بانتخاب الحركات الجماهيرية ودور الاحزاب والسياسين المحترفين في رفع مستوى الوعي الجماعي. هذان الماركسيان يشتركان اكثر من غيرهم من الماركسيين في تفسير انواع المنظمات والنوع الضروري من القيادة للوصول الى الاهداف المشتركة، لان اقامة المجتمع الجديد يرتبط بإقامة التوازن بين الافراد و الجماعة (بشيريه: ١٣٧٤).

لكن الاثنين يختلفان بشكل استراتيجي فيما يتعلق بنوع النشاط السياسي في المجتمع من اجل الوصول الى الاهداف.

وبينما يؤكد لينين على دور المنظمات الحرفية الصغيرة وقيادة المثقفين الواعين. نجد ان لوكسمبورغ يعتبر التحرك الجماهيري بذاته نوعاً من الاستقطاب الاجتماعي السياسي الذي يكتسب الافراد خلاله مفهوماً جديداً عن الأنا والوعي الجديد باعتباره من خصوصيات المجتمع السياسي الحديث.

الإجتماعية والبناء الكلي للإنسان الحديث يحتم هذه الضرورة. ويعتبر كلاً من فيبر و ميشيلز الديمقراطية بمعني حكومة الجماهير (Smelser:1992,43).

وقبل ان ندخل في البحث عن الحركات الاجتماعية وعلاقتها بالحداثة والسياسة الجديدة، ارى من الضروري الاشارة الى موضوع يتصل بالحداثة، هو التعبئة الاجتماعية (Social Mobility)، فلو كانت الحداثه تفسر على انها تعبئة مادية (فيزيقية) للأفراد، فأنها ايضاً توفر الارضية اللازمة للتعبئة الاجتماعية. وعلى العكس من التقليد الذي يستند الى البنية الاجتماعية الثابتة والمستقرة فإن الحداثة تتخذ طابعاً سياسياً مفتوحاً.

ومسألة التعبئة الاجتماعية مهمه للغاية لدى كل من الماركسيين والليبراليين.فمن وجهة نظر الليبراليين ترتبط التعبئة بالحرية الفردية وانه بامكانها توسيع رقعة الحرية واستعراضها في حين ان المحافظين ينظرون الى التعبئة الاجتماعية باعتبارها تهديداً للمجتمع، لأنها تخل بالاستقرار وسلسلة المراتب الاجتماعية التي تعد حصيلة لتجارب السابقين. بعبارة اخرى وباختصار، الحداثة هي ايجاد شروع ونشاط انساني.وبناء شخصية جديدة، والتعبير الثقافي والسياسي لهذة الظاهرة على المستويين الفردي والجماعي.وهذا الانسان يسعى الى تقديم تعريف جديد عن نفسه والعالم الذي يحيط به لأنه نبذ التعاريف والتفسيرات الماضية بعيداً، اذ لم يجدها كافية لفهمه للعالم الحديث.

الحركات الاجتماعية

الحركة الاجتماعية تقع في قلب الحداثة، لأن الحداثة تدل على الحراك اولاً، وعلى اعتبار ان الحداثة توجد تنازعاً بين الإتحادات والتبعيات السياسية والتي تلعب الحركات الجماهيرية دوراً محورياً فيها. لكن الحركات الاجتماعية تعد شكلاًمستقلاً في السلوك الاجتماعي اكثرمن كونها تحركات مستقلة وذاتية لجماهير الافراد. والحركات الاجتماعية هي اشكال هادفة ومنظمة للسلوك الجماعي. فأزدحام الناس، الجماعة و ... تشكل تجمعات لافراد، لكنها ليست حركات جديدة. وعلى خلاف الجماعة وازدحام الناس، تعد الحركات الاجتماعية تركيبة من الافراد الذين اجتمعوا حول هدف واحد ومشترك من أجل أن يبينوا مسألة تسوءهم ويحتجون عليها وهذا الاسلوب العام الذي يستعمل من أجل تغيير القواعد السياسية والإجتماعية التي تؤدي إلى انزعاج المجموعات البشرية.

والقضية التي لابد من اخذها بعين الإعتبار، هي أنَ ما يجعل الحركات الاجتماعية الجديدة وحداوية لا يكمن في كونها جماعية، بل خصوصياتها السياسية بالتّحديد وهو ما يميّزها عن الحركات القديمة والتقليدية.

ومن جانب آخر،فإن فكرة المشروعية تشكل حلقة ونقطة اتّصال لفهم السياسات الجديدة، لأن العمل السياسي يحتاج في الاقل الى لاعب او لاعبين يدّعون بصراحة ان ادوات عملهم ونشاطهم تمتلك المشروعية ويمكن اعتبارمايقومون به مشروعا كما انه جرى رصد الوسائل والأهداف التي يقوم على اساسها العمل بشكل متصل الى الجميع والى المجتمع. (Offe:1985,826-7) وعلى هذا الاساس يمكن الفصل بين الحركات السياسية، الثقافية، السياسية، والجتماعية.

على سبيل المثال، نرى الحركات الدينية او المناهضة للثقافة يمكن أن تساعدنا على إستخدامها لتوفير اشكال مقبولة ومشروعة من العمل الجماعي، وعبر المظاهرات العامة، الاقتراع واستخدام القوى البشرية و ماشابه ذلك من اعمال تهدف إلى زيادة عدد الأنصار والموالين والإطمئنان الى حقهم في تطبيق عقائدهم. ومع ذلك، فهذه النشاطات ليس القصد منها نقل عقائدهم او سلوكياتهم الى جميع اجزاء المجتمع السياسي ووصله ببعضه.

وعندما يقومون بفعل ذلك كما هو الحال بالنسبة للحركات الإسلامية المعاصرة، فلن يحسبوا حزباً سياسياً او حركة احتماعية ثقافية طويلة المدى بل سيكونوا بالتأكيد حركة سياسية-احتماعية تامة. لذلك لابد من التفريق بين

الحركات السياسية- الاجتماعية و الحركات السياسية- الثقافية من جهة وسائر الحركات من جهة أخرى. وللتمييز بين الحركات السياسية- الاجتماعية و جماعات الاحتجاجات المؤقتة (Adhoc) نحتاج الى تحديد و بيان هذه المسألة الاساسية وهي ان الحركات السياسية- الاجتماعية الجديدة لها نظرية وعقيدة عامة مقوبله بنسبة معينة.

مجموعة من العقائد التي توفرظروفاً لهم وتعريف الحالات المتأزمة والسماح باستمرارها أو الانتقال من موقع معين الى آخر.

ولابد للحركات السياسية والاجتماعية من امتلاك بعض اشكال التنظيم ووسائل الاتصال لاستخدامها كأدوات من اجل الاستقرار والدينامية في الحركة. وعلى هذا تكون الحركات الاجتماعية اكثرمن مجرد تجميع لجماهير الناس من اجل الاحتجاج والمعارضة؛ بل هي بحاجة الى اشكال من التنظيم والإتصال؛ لأنه من دون ذلك لاتستطيع الاستمرار والثبات على اهدافها، فهذان العاملان- التنظيم والاتصال- يسمحان لها بالتحرك خارج نطاق الزمان والمكان وتختلف اشكال هذه الحركات في المجتمعات الحديثة التي تستند كل واحده منها إلى ثقافة سياسية خاصة بهامن مجتمع الى آخر، لكن وجود مثل هذه المنظمات وخطوط الاتصال هي من خصائص الحداثة والسياسات الحديثة.

بعبارة اخرى الحركات السياسية- الاجتماعية هي من خصائص السياسات الحديثة والمجتمع الحديث. وان استمرار الحركات الاجتماعية يحتاج الى سهولة في الافكار و الدوافع والأهداف، بشكل يظهر على صفحات الجرائد والكراسات وفي المظاهرات.

والحركات الإجتماعية الحديثة تحتاج الى درجة من التنظيم وقنوات الإتصال لتثبيت مواقعها واستمراريتها. وهنا نجد من الضروري الاطلاع على أن الأحزاب السياسية وسائرالمجموعات الاجتماعية تمتلك مستوي ودرجه اعلى من التنظيم والتشكيلات مقارنة بالحركات الاجتماعية وهذه ايضاً من خصوصيات الحداثة والسياسات الحديثة. بالرغم من هذه نفسها اكثر تنظيماً من الجمعيات(Crowd) والتعبئة الجماهيرية لكنها اقل تنظيماً من الاحزاب السياسية، لأنها قابلة للتوسع والأنكماش بميزان عدد أنصارها والاعضاء المشاركين فيها.

والحركات الاجتماعية اكثرمرونة وانعطافاً من الاحزاب السياسية على صعيدي التنظيم و التسامح العقائدي،لأن اهدافها اقل عملية ووسائلية من الاحزاب السياسية ونشاطاتها في الغالب تعبيرية.وبالطبع لا يمكن تحديد العلاقة المباشرة بين الأحزاب السياسية و الحركات الاجتماعية. و يمكن للحركات السياسية- الاجتماعية ان تقوم بتأسيس واجهات حزبية، او انها تنشط الى جانب ومن داخل الاحزاب من اجل الوصول الى اهدافها.

وبالطبع تجدر الاشارة الى ان اعضاء الحركات السياسية- الاجتماعية المشاركون في الحركة ليسوا بحاجة الى الاستفادة او تبني آراء وعقائد الاحزاب السياسية الرسمية كجزء من حركتهم.

فلبعض المشاركين او لاغلبهم احياناً، مجموعة من الدوافع والعقائد المبهمة حول بعض القضايا والتي يمكن معرفتها عن طريق عدم الرضا والسخط، وهذا الامر لايوجد بالضرورة حالة من الالتزام التنظيمي.

ولكي تستمر الحركة الاجتماعية، لابد من ان تكون مرنة في مجالات العقيدة والمثل والتطلعات، كالذي يجري التعبير عنه في المظاهرات العامة والصحف، ووسائل الاعلام، لكنها على مستوى القيادة والتنظيم لابد ان توفر شروطاً تؤدي الى الاستقرار والثبات.

والقيادة هنا هي المتحدث بإسم الحركة والتي تتولي زمام امورها، خاصة عندما تحتاج الى ان تجعل الامور قابلة للمشاهدة حتى أنَ القيادة تحتاج أحياناً ومن اجل المضي في اهداف الحركة خلق بعض المشاكل لنفسها.

وعندما نجعل العمل الجماعي الهادف الأقل او الأكثر تنظيماً من ملزومات التغيير الاجتماعي. فأن الحركات الجتماعية تعتبر

بشكل مباشر ظاهرة حديثة. لأن الحداثة وفي افضل حالاتها يمكن ان تعرّف على انها فترة من اهم خصائصها التغييرات الدائمة (زيغموند با فمن:١٣٧٩،٣٧).

هؤلاء قاموا بنقل وعكس ثقافتنا السياسية الجديدة وإستندوا عليها، وسمحوا إن يشكل السخط العام جزءاً مما يمكن ان يمثله الفعل السياسي وهو جزء مبتني على وعينا في إمكانية حصول تغييرات بنيوية وأساسية. إن إستناد الحداثة والسياسة الحديثة يقوم على الوعي الذي يحوّل فقدان الرضا السياسي الى سخط وهو ما يميز الحركات الاجتماعية الجديدة عن اشكالها التقليدية القائمة على السخط العام والتمرد (Smelser:1992, 45).

وهذه القضية تشكل محور الاشتراك و التمايز بين الاشكال الجديدة والقديمة للحركات الاجتماعية التي تقوم على الوعي (Melucci:1996 ,85). ويقوم هذا التمايز على قسمين من المعايير، احدهما نظرية الانتقال التاريخية من المجتمع الصناعي القديم الى المجتمع ما بعد الصناعي (Post-Industrial) الحديث، ومن وجهة النظر هذه فأن الحركات العمالية تعتبر من الحركات القديمة لأنها تعبر عن النزاع بين المجتمع الصناعي والتطور الصناعي وتحتاج الى تضاد بين العمل ورأس المال، في حين ان الحركات الاجتماعية الحديثة، تعبر عن النظريات التي هي خارج مسألة العمل والتي توفر الظروف الفكرية خارج نطاق النزاعات القديمة والمواضيع والتوجهات الجديدة لعدد من القضايا الخارجة عن دائرة الاقتصاد، كالعلاقة بين الاجيال ومسألة الحرب و السلم.

القضايا التي تهم الحركات الاجتماعية الجديدة ثقافية في الغالب اكثر من كونها اقتصادية و الهدف من التغييرات في الحركات الاجتماعية الجديدة تنظر في الغالب الى القيم وقواعد السلوك الإجتماعي اكثر منها الى العلاقة بين الانتاج والتوزيع. وهذا التمايز بين الحركات الاجتماعية القديمة والجديدة يوفر نهجاً متعارفاً لتصنيف العديد من المقولات في النزاعات السياسية والحركات الاجتماعية.

على سبيل المثال، العلاقات والمصالح الطبقية التي هي المصدر الأساسي في الهوية الجماعية والدافع للعمل الجماعي في السابق (في اوروبا على الاقل) تحولت اليوم الى مسائل هامشية وجزئية في بيان الحركات الاجتماعية على الاقل.

فالظاهر ان الحركات الاجتماعية المعاصرة يجري تحريكها من خلال عوامل اخرى، و بدل التأكيد على المسألة العمالية وسيرة العمل. جرى توجيهها اليوم نحو ما يسمى بالبيئة العالمية. و التي تتضمن عواملاً اخرى من قبيل: الهوية الفردية، الحياة الشخصية، الجنس (النوع الانساني) وأسلوب وكيفية الحياة (Eyerman:1991,128).

وعلى أية حال، يظهر ان الحركات الاجتماعية الجديده تسعى في مجال السياسية إلى إحداث تغييرات أساسية في الحياة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالديمقراطية.

الحداثة و الحركات الاجتماعية

بحثنا فيما سبق مفهوم الحداثة والحركات الاجتماعية الجديدة. وفي هذا القسم من البحث سنتطرق الى كيفية تأثير الحداثة على الحركات الاجتماعية الجديدة.

قبل كل شيء سنقدم صورة عن التمايز الاساسي بين الحركات الاجتماعية القديمة والجديدة. والبحث هنا سيكون حول التغيير في البُنى الإقتصادية والإجتماعية والذي جرى إقتراحه من قبل المؤمنين بما بعد الحداثة -Post (Modernism) فالحركات الاجتماعية الجديدة هي في الحقيقة تعبير عن فلسفة ما بعد الحداثة.

هناك اكثر من عامل اجتماعي مؤثر في الحركات الإجتماعية الجديدة. احدها اتساع الدولة، تنمية صناعة، المعرفة- الوعي و تنمية وسائل الإتصال الاجتماعي الجديدة. (Smelser:1992,46) وهذه العوامل الدينامية تترك تأثيراتها على الحركات الاجتماعية وبالعكس هناك تأثير لهذه الحركات على المجتمع والسياسة.

ان الحركات الاجتماعية القديمة تعتبر من العناصر الذاتية للحداثة و التي جرى انتاجها بواسطة الاخيرة وهي دليل على

Volume 13, Number 4
Fall 2006
ISSN 1735-5052

THE JOURNAL OF HUMANITIES

OF THE ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

Tarbiat Modares University
Faculty of Humanities